Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



أرأيت كيف يستخرج ابن سودون منا الضحك بفكاهته، وما يتقن وصفه من بلاهة صاحبه الزلابياني وغفلته. وانظر إليه كيف جعله ينسى المكبة ويأخذ الصحفة، ثم ما زال بعد ذلك كلما أخذ واحدة منها نسى الأخرى في تبالُهِ غريب ، وإنه لتباله يدفعنا إلى أن ننسى منطقنا، فإذا بنا نضحك لأننا استرحنا قليلا من هذا المنطق الذى يتعبنا فى حياتنا ، وأخذنا نضرب مع ابن سودون فى عالمه الجديد. أتظن أننا بضحكنا نحتقره أو نزرى عليه، أو نحس برغبة فى انتقام منه، أو أننا نريد — كما يقول بعض النفسيين — أن نعاقبه، فضحكنا تنفيس أو تعبير عن ذلك؟ إنَّ هذا فى الواقع يعد فى الخيال والتصور. وما لنا ولهذه المعانى السيئة ؟ لقد كنا نستطيع أن نؤمن بذلك لو أننا نحس بشئ من الموجدة على ابن سودون، ولكنا لا نحس بذلك، بل نحس إزاءه بعطف، بل بشئ من المودة، فإننا نتمنى أن لو كان معنا الآن لنرى كيف يستغل حاضرنا فى دعاباته وفكاهاته. وانظر إلى ما يخلعه على الزلابياني من تباله، إذ جعله يطعم وليده الجوز واللوز حتى قضى عليه قائلا إنه مات شبعاً فى حين ماتت أمُّهُ جوعاً. ثم يذهب به لإحضار كفنين لهما جميعاً ! ولكن صاحبه سرعان ما ينسى البيت، وتخونه ذاكرته فيفقد كل دليل يدل عليه. وكل ذلك يضحكنا لا لأننا نريد أن نعاقب ابن سودون كما يزعم بعض النفسيين، ولا لأننا نريد أن نكافئه كما نزعم نحن، ولكن لأن مثل هذا الحديث يصيبنا بضرب من عدم الاتزان، فنشعر بانبساط ومن ثم نشعر بسرور فنضحك. وليس كل عدم اتزان يفضى إلى ضحك، فإننا نألم أيضاً حين تصادفنا حادثة لنفس السبب إذ نفقد اتزاننا. وإذن ففقدان الاتزان يؤدى إما إلى ضحك وإما إلى بكاء. ومصدر هذا التناقض أننا حين نشعر مع عدم التوازن بضَرْبٍ من الانقباض النفسى نألم ونحزن وقد نبكى، وحين نشعر مع عدم التوازن بضرب من الانبساط النفسى نسر ونفرح وقد نضحك . ومعنى ذلك أن الضحك مسألة فردية تخضع لشعور الفرد نفسه بضرب من الراحة، لا